الأستاذة: لمياء عيطو

مقياس: النص الأدبي الحديث

المحاضرة موجهة لطلبة السنة الثانية دراسات أدبية (الفوج 03/02/01)

المحاضرة الخامسة: التجديد الشعري في المشرق (02)

لقد كانت المحاضرة السابقة حديثا عن مظاهر التجديد التي مست القصيدة الشعرية، وذلك بعد تأثر الشعراء الكبير بتيار الرومانسية الذي عزف عن ما قدمته المدراس السابقة كالكلاسيكية من جهة، ومن جهة أخرى ظهور التكتلات التي تأثرت بالرومانسية كجماعة الديوان التي ظهرت عندها ملامح تجديدية على مستوى المعنى والمبنى، وذلك من خلال كسر نمطية المنظومة الإيقاعية للقصيدة من حيث الأوزان والقوافي مع الاهتمام بالموسيقى الداخلية، والخروج عن فكرة البيت الواحد إلى فكرة الوحدة العضوية والموضوع الواحد، وعديد من التغييرات الأخرى.

2- جماعة أبولو:

أنشأ أحمد زكي أبو شادي (1892-1955) هذه الجماعة التي ضمت مجموعة من الشعراء والنقاد والأدباء نذكر منهم : أحمد محرم (1877-1945)، إبراهيم ناجي (1898- 1953) ، علي محمود طه وغيرهم وقد ترأسها في بداية الأمر أحمد شوقي الذي توفي بعد أيام قليلة، ليخلفه بعد ذلك خليل مطران.

استلهمت الجماعة تسميتها من الميثولوجيا الإغريقية، حيث كان يمثل أبولو إله النور والشعر والموسيقى، يقول أبو شادي: « وإذا كانت الميثولوجيا الإغريقية تتغذى بأبولو رب الشمس والشعر والموسيقى، فنحن في حمى الذكريات التي أصبحت عالمية بكل ما يسمو بجمال الشعر العربي وبنفوس شعرائه »، وقد قام عباس محمود العقاد بانتقاد هذه التسمية لأنه يرى بأن للعرب والكلدانيين ربا للفنون والآداب اسمه عطارد، وهو الاسم الانسب للمدرسة لأن أبولو عند اليونان لم يكن مقصورا على الأدب والشعر فقط، وإنما تعدى ذلك إلى الزراعة والماشية؛ ولأن التسمية الشرقية مألوفة في آدابنا ومنسوبة إلينا، ويستشهد في ذلك بقول ابن الرومي:

ونحن معاشر الشعراء ننمى إلى نسب من الكتّاب دان

أبونا عند نسبتنا أبوهـــم عطارد الســـماوي المكان

وأصدرت الجماعة مجلة تغنى بالشعر العربي باسم مجلة أبولو وظلت تصدر من سنة 1932 إلى 1935، ولقد أخذت هذه الجماعة على عاتقها عملية إثراء الشعر العربي وتوجيه الشعراء توجيها شريفا، وجعلتها من البنود الأولى في دستورها الذي نشر في العدد الأول من المجلة، وقد ركزت كذلك على ضرورة مناصرة النهضات الفنية في عالم الشعر، وترقية

مستوى الشعراء ماديا وأدبيا واجتماعيا والدفاع عن كرامتهم، وهذه الأهداف كانت مشتركة مع أهداف جماعة الديوان والرابطة القلمية.

التجديد المضموني عند جماعة أبولو:

تعددت الموضوعات التي تناولها شعراء هذه المدرسة بتنوع ثقافاتهم وتعدد مشاربهم، ومن الموضوعات التي نجدها حاضرة عند أعضاء الجماعة:

موضوعات الطبيعة:

يختلف تعاطي الشعراء المحدثين من الرومانسيين مع الطبيعة عما كان متبعا لدى الأقدمين، فمن تحولات التغني بالطبيعة في الشعر استخدامها للتعبير بها عن حالاتهم النفسية والاندماج معها وفي هذه الحالة تصبح عناصر الطبيعة بأكملها تعبر عن حالاتهم النفسية والعاطفية وتحولاتها، لذا لا يعاب على الشعراء استخدام الرموز ذاتها بل وتكرارها في القصيدة الواحدة فالشاعر يقصد التعبير عن نفسيته وما يشعر به لا التغني بمظاهر الطبيعة لذاتها فحسب.

يقول إبراهيم ناجي في قصيدة بعنوان خواطر الغروب، هذا العنوان الذي يبين نوعا من التماهي والذوبان في الطبيعة:

ما تقول الأمواج ما آلم الشمس　　فولت حزينـــة صفـراء

تركتنـا وخلّفـت ليـل شك　　أبـديّ والظّلمـة الخرساء

وكأن القضـاء يسخـر مني　　حين أبكي وما عرفت البكاء

ويح دمعي وويح ذلة نفســي　　لم تدع لي أحداثه كبريـاء

إن حيرة الشاعر في هذا المقطع مستمرة لا تنقطع، فما حديث الأمواج وما سبب الحزن الذي يلم بالشمس؟ ثم يربط هذه الحيرة بنفسه وأحزانه فكأن الشمس مصفرة من حزنه، وذلته التي جرتها أحداث الحياة، فلم يتبقى له من كبريائه شيء فالموجودات تتفاعل بتفاعل نفسه وتتأثر به وتؤثر فيه، فتناول الشعراء لموضوع الطبيعة يختلف عن سابقيهم؛ حيث إنها كانت لديهم عبارة عن كيان متفاعل يتأثر بهم ويؤثر فيهم، وتنعكس عليه خلجات نفوسهم، وخفقات قلوبهم فهم مجددون في هذا الضرب.

الموضوعات الفلسفية:

الشعر هو عمل فكريّ في مقامه الأول، يخلق فيه الشاعر ارتباطات ويقيم فيه علاقات بين عناصر كانت العلاقة بينها واهية أو منقطعة تماما، وفي خضم هذا العمل الذهني العاصف تتولد التساؤلات بوصفها نتاجا ثانويا للحركة الفكرية

فالشاعر بالضرورة مفكر والمفكر فيلسوف يحاول طرح أسئلة حول الإنسان، العالم، الحب، أو القيم ونجد في قصيدة أبي شادي الطائر الجديد حيرة الفيلسوف وتساؤلاته التي لا تنتهي:

أيها الإنسان يا ابن الأرض فيما تشتهي أن تعتلي هذا السُّديما
لك أن تسمو مـــا شئت ولكن أصلح الأرض تجد فيها المفاتن
قبـــل أن تمضي لهوا أو تطيـــر عمِّر الأرض ولا تنس المسيـــر
كم خـــراب شامل فيهـــا نراه أنت تبقيه على غير انتبـــاه
عمِّر الأرض تكـن فيـــها إلـــه إن هذا وحده مجـــــد وجاه

يتعجب الشاعر ويتفكر في حال الإنسان الذي لا ينتهي به التطلع إلى ما هو أسمى، ولا يقول الشاعر إن ذلك التطلع مرفوض وانما ينادي على الإنسان أن يبتدئ بما تحت يده يقيم عوده ويصلح من شأنه ثم ينتقل بعد ذلك لما فوقه، منبها على ما يجره الإنسان –في سلوكه الحياتي– من خراب وتدمير، فالأبيات كأنما هي إرشاد أقرب إلى الفلسفة أو فلسفة بطابع الإرشاد، كل ذلك تحت ضباب خفيف من الحيرة من ذلك المخلوق الأرضي المتطلع إلى ما علاه وسما عن عالمه.

الموضوعات ذات الطابع الوجداني الذاتي:

ونعني بها ذلك الشعر الذي تبرز فيه ذاتية الشاعر سواء عبر عن إحساساته ومشاعره الخاصة، أو صور أحاسيس ومشاعر الآخرين ولونها بخواطره وأفكاره وأما أهم دوافع هذا النوع من الشعر فهي الآلام والمعاناة ومرارة التجربة مما يحمل الشاعر على البوح بما في نفسه من شعور بالألم أو الوحدة أو الحب، أو غير ذلك من العواطف الصادقة التي تلهب القلب وتصفي الذات . وهو ينطلق من قلب الشاعر ليتوجه إلى قلبه موحدا بين الذَّات والموضوع. يقول إبراهيم ناجي في قصيدته الشاعر والنهر:

مكاني الهـــادئ البعيد كن مجيرا لي من الأيـــام
قد أمّك الهارب الطريد فـــآوه أنت والظـــلام
ما حيلة الليل في عيـــاء أنهكني فتكـه البطـــيء
أ إن خبا العمر في الفناء من فحمة الليل أستضيء
ي أيها النهر بي حسـد لكل جـــار عليه تعطف
أكـــــل راج كما يود يروي ظماه ويرتشـــف
وكل غـــاد له نصيب من مائك البارد الشبـــم

ومن حبيب إلى حبيب ترنو حنـــانا وتبتسم

يبدو الشاعر هنا في حالة استسلام تام لليأس، وهو يحاول أن يجد الملاذ في مكانه الآمن البعيد، ولعل البعد بما فيه من إشارة للغربة متأصل في شعر ناجي، وطالما ذكره وأطال الوقوف عليه، وتبدوا المأساة مجسدة في حديثه مع نفسه في معان من أمثال (عدم الحيلة، الليل ذ، الفناء، الاستضاءة في ظلام الليل الدامس...) ويواكب هذا الاحساس المأساوي بالحياة في شعره كثرة تردد مفهوم الغربة.

موضوعات بطابع الفقد والحزن:

بصورة عامة نجد شعراء أبولو قد تأثروا بالرومانتيكيين الإنجليز ,وقد اجتمعوا – على اختلاف مشاربهم – حول مائدة الحزن؛ فنجد لديهم في صورة الحب الحزين الذي ينتهي إما بفراق وإما بموت، معادلا موضوعيا ليأسهم في الحياة وعجزهم عن التصدي للواقع، فكان أغلب شعراء الجماعة يصورون الفرد في أدبهم على أنه فرد سلبي حزين وهذا ما نجده واضحا في أشعار إبراهيم ناجي وعلي محمود طه الذي كان كله مدعاة لبلبلة الروح، وللضياع، والسوداوية اليائسة – في كثير من الأحيان. وصورة الحبيب الغائب دائما ما تتكرر في شعر إبراهيم ناجي، يقول في قصيدة ساعة لقاء:

يا حبيب الروح يا روح الأماني لست تدري عطش الروح إليكا

وحنيني في أنيـــن غير فـــان للرّدى أشربـــــه من مقليتيكا

آه من ســـاعة بث وشجون ولقاء لم يكن لي في حســـاب

وحديث لم يدر لي في الظنون يا طويل الهجر يا مر الغيـــاب

موضوعات في تساؤلات الحياة:

كانت أرواح شعراء أبولو أرواحاً مهتاجة، ونفوسهم مضطربة فطرحوا العديد من التساؤلات حول كل ما تقع عليه أعينهم أو ترف به خواطرهم، دون محاولة إيجاد إجابات لها، يقول أبو شادي:

يا زين دنيـــاي التي ما نـــالني منها سوى قلـــــقي على حرماني

لم يحجبونك؟ هل أثمت بكل ما أعطيت من حسنك من جمال بياني؟

هل لي سوى دين الطهـــارة ملة أو لي سوى حُمّـــاي أو ديـــاني

فإذا حجبت فمن أخص بمهجتي؟ ولمن أعيش؟ ومن له وجدانـــــي؟

على الرغم من أن الاستفهامات والتساؤلات تملأ قلب الشاعر، إلا أنها لا تنتظر إجابة وانما تنطلق هكذا لتتعلق مثل خيوط العنكبوت في فضاء لا نهائي يقود كل تساؤل منها إلى آخر أعمق غورا وأكثر حزنا وسوداوية.

التجديد الشكلي عند جماعة أبولو:

– التجديد على مستوى القوافي وحروف الروي، ولا يكاد يخلو ديوان أحد شعراء أبولو من هذه المحاولات التجديدية بصورة عامة، وعلى إطار الموسيقى بوجه خاص، وشعراء أبولو لم يستخفوا بالعروض ولا أغفلوا ضرورة تتبع ما استن الخليل من قواعد للقافية، فما تبعوه منها تبعوه على أصل وضعه وما خالفوه خالفوه بخروج هو في العيوب المعلومة للقافية.

يقول إبراهيم ناجي في قصيدته الأطلال:

يا غراما كان منّي في دّمي قدرا كالمـــوت أوفى طعمه

ما قضينا ساعة في عرسه وقضينـــا العمر في مأتمـه

ما انتزاعي دمعة من عينيه واغتصابي بسمة من فمـــه

آه يا قبـــلة أقدامي إذا شكت الأقدام أشواك الطريق

يظمـــــأ السَّـــاري له أين في عينيك ذَيَّـاك البريق

لست أنساك وقد أَغْرِيْتني بالذُّرى الشُّمِّ فأدمنت الطموح

أنت روح في سمـــــائي وأنالك أعلو فكأنّي محض روح

لقد عمد الشاعر إلى التنويع في القوافي واللجوء إلى الأوزان الخفيفة المناسبة لمواقف التلحين، فالشاعر لم يلتزم بروي واحد كما هو واضح.

– الفنون المستحدثة كالموشح الذي ظهر في أعمال شعراء أبولو ، حيثقد أفردوا له حيزا مقدرا وقد أجادوا فيه وأحسنوا، وللشابي في مجال التوشيح موشحة من مجزوء الرمل يقول فيها:

غنِني أنشودة الفجر الضحوك أيها الصداح

فلقد جرعني صوْتُ الظَّـلام

ألمـــــا علمني كره الحياة

إن قلبي مل أصـــداء النواح غنني يا صـاح

حطمت كف الأسى قيثارتي في يد الأحلام

فقضت صمتا أناشيد الغرام

بين أزهار الخريف الزاويـــة

وتلاشت في سكون الاغتراب كصدى الغريد

استخدم الشاعر القفل المركب إلا أنه لم يكتف بين البيتين بقفل واحد وانما بقفلين، وقد جدد في ما قام بالنظر إلى محورين أحدهما: أنه لم يلتزم بروي ثابت للأقفال كما هو معلوم في الموشح، وثانيهما:أنه لم يوحد روي الأسماط في البيت الواحد.

– التجديد علة مستوى الصورة حيث استطاع شعراء أبولو أن يخرجوا بالصورة من الحالة الحسية والذهنية، والثنائيات السريعة التي تقوم كل منها على فكرة محدودة، إلى حالة أعمق هي حالة الشعور الذي يسود القصيدة كلها أو الأبيات العديدة منها، وإلى الغوص في أعماق النفس لخلق التأثير في داخلها بدلا عن التأثير الذي تتلقاه من الخارج فكان بناء الصورة لديهم بناء متكاملا ينتظم الأبيات الطوال وينظمها في لوحة شعورية واحدة حتى يستنفدوا عملهم فيها.

الخصائص العامة لشعر جماعة أبولو:

إذا فقد وضعت جماعة أبولو جملة من القواعد الجديدة في كتابة الشعر، فجعلت له خصائصا جديدة صرح بها أعمدة المدرسة من النقاد والأدباء من خلال مجلة أبولو التي تأسست عام 1932 واستمرت في الصدور حتى 1934.

– الوجدانية، ومن مظاهرها القلق والنزعة الإنسانية والاهتمام بالأشياء البسيطة.

– الانحياز للطبيعة، لأنها خزان المجهول والأسرار، فأغرقوا في الخيال والتأمل، واستعاروا الرموز الأسطورية والصوفية.

–نوّعوا القوافي وأحيانا تحرروا منها (الشعر المرسل)، وكتبوا ما أسموه بالشّعر المنثور الذي لا وزن ولا قافية له.

–التوكيد على وحدة القصيدة، وعلى وحدة الشّاعر نفسه في مذهبه.

–الاهتمام بالشّعر القصصي والمسرحيّ.

–الدفاع عن الحرية الكاملة للشاعر في النهل من كل الثقافات وتضمينها بطريقة تتناسب مع مبادئ الرومانسيّة .إنهّا كما يقول الشّابي، ثورة في سبيل حرية الشّعر وكماله، ثورة مازالت تختلط فيها المطامع والميول، وتضطرب فيها أصول المذاهب اضطراب البذور في جميل السيل

بعض المراجع المعتمدة في المحاضرة:

- شكيب الأنصاري: تطور الأدب العربي المعاصر.
- علي الأطرش: محاضرات في النص الأدبي الحديث.
- حسن علي حسن سليمان: مظاهر التجديد في الشعر الحديث.